# الفصل الأول

# مدخل إلى الفلسفة

تعريف الفلسفة

خصائص الفلسفة

مباحث الفلسفة

وظائف الفلسفة

# مدخل إلى الفلسفة

يقوم التفكير الفلسفي على ممارسة التأمل في هذا الوجود، وفي كل ما يشتمل عليه من ظواهر ونواميس طبيعية، وما قد يكمن وراء ذلك كله من قوى عاقلة مدبرة، فكان من الطبيعي أن ترتبط الفلسفة كل الارتباط بمختلف نواحي المعرفة الإنسانية، وأن يكون لها أثرها الفعال ومجراها العميق في حياة المجتمعات بمستوياتها المختلفة، وفي أشكالها الحضارية المتغيرة.

ولم يستطع أحد أن يفصِل بين الفلسفة في مضمونها ومدلولاتها، وبين محيط الحياة الثقافية والحضارية، أو ما تشمله الحياة في تطوراتها المختلفة عبر العصور من علوم، فقد ثبت تداخل الفلسفة والتفكير الفلسفي في العلوم الاجتماعية ذات الصلة المباشرة بحياة الفرد والجماعة، ومنها علوم السياسة والاقتصاد والقانون والتاريخ، هذا إلى جانب الفنون والآداب والتربية وغيرها من العلوم (أبوقحف، 2007).

## تعريف الفلسفة

ينْفِر بعض الفلاسفة ودارسو الفلسفة من محاولة التعريف الخاصِ بالفلسفة، ولا سيما إذا أُريد لهذا التعريف أن يرسم الحدود والمعالم الدقيقة لهذا النشاط الفكري المتميز؛ ويعود ذلك إلى: صعوبة هذا التعريف، اختلاف معنى الفلسفة عبر

العصور والمجتمعات، عدم استقرار كلمة الفلسفة على مدلول واحد طوال هذه العصور التاريخية، اختلاف النظم السياسية والاقتصادية والدينية في كل عصر، انتماء الفلسفة إلى مدارس وتيارات فكرية متباينة (العامري، 2014؛ بخيت، 2013، الحاج، 2013). وسنتطرق بإيجاز إلى تعريفها الاشتقاقي، ثم تعريفها الاصطلاحي في سياقه التاريخي قدر الإمكان.

### المعنى الاشتقاقي للفظ الفلسفة

إن لفظ فلسفة مشتق في الأصل من اليونانية، وأصله فيلو (Philo) – سوفيا (Sophia)؛ ومعناه محبة الحكمة (صليبا، 1982، ص 160). وعُرِف «الفيلسوف» بأنه الباحث عن الحقيقة بتأمُّل الأشياء. وكان فيثاغورث (572 – 497 ق.م) أول حكيم وصف نفسه من القدماء بأنه فيلسوف، فجعل حُب الحكمة هو البحث عن الحقيقة، وجعل الحكمة هي المعرفة القائمة على التأمل (الساموك، 2010، ص21).

### التعريف الاصطلاحي للفلسفة في سياقه الفكري التاريخي

رغم تحديد موضوع الفلسفة ووظيفتها، إلا أنه من الصعوبة بمكان تحديد معناها، فهناك اختلاف وجدل كبير بين الفلاسفة حول تعريفها كما أسلفنا.

فنجد أن الفلسفة عُرفت على يد أرسطو Aristotle بأنها

«العلم بالمبادئ الأولى التي تُفسَّر بها طبيعة الأشياء»، أو هي «البحث عن عِلَل الأشياء وأصولها الأولى»؛ أي العلة الأولى التي هي علة العلل (كامل، 2011، ص11).

وفي نظر ديكارت Descarte الفلسفة هي «جميع المعارف الإنسانية»، وهو صاحب المقولة: «إن الفلسفة أشبه شيء بشجرة، جذورها علم ما بعد الطبيعة، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها العلوم الأخرى، ومنها: الطب، علم الميكانيكا، علم الأخلاق» (صليبا، 1982، ص160).

أما موريس شليك Moritz Schlick، الذي ظهرت على يده الفلسفة الوضعية المنطقية، وغيره من الفلاسفة المعاصرين أتباع الاتجاه التحليلي، فيرون أن الفلسفة «ليست علمًا بل هي نشاط أو فعالية في كل علم» (بومهدي، 2005، ص27).

وحسب تيار ما بعد الحداثة نجد أن تعريف الفلسفة هو «فن تكوين أو اختراع أو صناعة أو إبداع المفاهيم» (العالم، 1996).

## خصائص الفلسفة

على الرغم من الاختلاف والتباين بين الأنساق الفلسفية على صعيد المفهوم الرئيس والرؤى والمنهج، إلا أن جميعها تتشابه في أنها تنطلق من فرض عقلي. وتشترك هذه الأنساق

الفلسفية في مجموعة من الخصائص (الضاهر، 2014) هي -في حد ذاتها- جملة من خصائص الفلسفة عمومًا.

وحتى نُبرِز هذه الخصائص فسنقف على تحديد أهمها، وتفسير كل خاصية منها، وهي (وطفة، 2011، ص271-272):

- الكلية والشمول: فالفلسفة تصوُّر عقلي شامل وكلي لنواحي الوجود كله، يتم من خلالها تفسير العالم في جملته.
- التجريد: حيث تعتمد الفلسفة على التفكير العقلي المجرد بالدرجة الأولى، وهي بذلك تتجاوز نطاق المعرفة الحسية إلى أعلى مستويات التجريد.
- المنطقية: تحاول الفلسفة بصفتها معرفة عقلية أن تحقق الانسجام والتكامل في معطياتها على أساس منطقي.
- غائية المعرفة: الفلسفة والأنساق الفلسفية غايتها المعرفة لذاتها، وليست لها غاية غير ذلك.
- النزعة النقدية: الفلسفة فكر ناقد، تعيد النظر بشكل متواصل، ولا تؤمن بوجود معارف ثابتة ومطلقة.
- التساؤل والانبهار: بما أن الفلسفة فكر نقدي فهي حتمًا فكر تساؤلي، تجعل من كل شيء موضوعًا للتساؤل والنقاش والمناظرة.

ويضيف خليل إلى جملة ما سبق من خصائص للفلسفة خاصيةَ الشك المنهجي، وهو شك مؤقت، وغايته الوصول إلى اليقين، وخاصية العقلانية، فالفلسفة ما هي إلا محاولة إدراك الحلول الصحيحة للمشكلات الكلية المجردة (خليل، 2005).

ويشير جوكالب Gokalp إلى أن العقول التي تُنمِّي عادة التفكير الفلسفي تتمتع بامتياز تطبيق هذا المسلك الفلسفي على الحياة العملية للناس، وإدراك الحياة الأكثر قيمة وحكمة؛ وأن التربية الفلسفية التي تستند إلى تعليم التفكير الفلسفي، تتكيف مع حياة الإنسان، وبها يُمكن اكتساب القدرة على التقويم الشامل، وصُنْع القرار بمنظور واسع واختيارات غنية، وضبط العلاقات الإنسانية في المجتمع (Gokalp، 2012، p 477 – 478).

## مباحث الفلسفة

تبحث الفلسفة – حسب رابوبرت – عن كل مسألة يمكن البحث فيها، وتنقسم هذه المسائل – من وجهة نظره– إلى ثلاثة أنواع تبعًا لموضوع البحث، وهي (رابوبرت، 2012، ص26):

1. مسألة الوحدة: علة العلل القادرة على كل شيء، الخالقة لكل شيء، مفيضة الحياة على العالم، وهذا القسم يسمى (ما بعد الطبيعة) أو (ما وراء المادة).

2. مسألة الكثرة: والمقصود بها مظاهر هذا العالم المتنوعة، المرئيات أو مجموعة الأشياء التي تقع عليها حواسنا.

3. مسألة أفراد المخلوقات التي أهمها الإنسان، ويشمل هذا النوع علم الحياة العقلية للإنسان، ويبحث في:

أ. الطرق التي يتبعها العقل للوصول إلى نتيجة صحيحة، وهذا يسمى المنطق، وغايته ترقية فكرة الحق.

ب. العاطفة، وهذا هو علم الجمال، وغايته فكرة الجمال.

ت. الرغبة أو الميل، وهذا موضوع علم الأخلاق، وهو يدور حول فكرة الخير.

ويأخذ كل من ناصر ومرسي تقسيمًا آخر، وإن كان -في مضمونه- لا يختلف عمّا تقدم من تقسيم، وتُحدَّد بناءً عليه الموضوعات أو الميادين التي تدرسها الفلسفة، وتتلخص تلك الميادين في المباحث التالية (ناصر، 2013، مرسي، 1995):

- الوجود أو الأنطولوجيا Ontology: وهو العلم الذي يبحث في طبيعة الوجود على الإطلاق، وخصائصه العامة من حيث: هل هو مادي، أم روحي، أم مزيج من الروح والمادة؟ وهل يتألف من عنصر أو أكثر؟
- ما بعد أو ما وراء الطبيعة (العلم الإلهي) أو الميتا فيزيقا

Metaphysics: وهو علم الوجود بما هو موجود؛ أي هو العلم الذي يبحث في وجود الوجود، أو هو العلم الذي يبحث في مبادئ الوجود وعلله.

- الكونيات(*) أو الكسمولوجيا Cosmology: وهو العلم الذي يبحث في التساؤلات الرئيسة الأولى، مثل: ما العالم؟ وكيف نشأ؟ وكيف تَطوَّر؟ ولماذا وُجِد؟ وما طبيعة المكان والزمان؟ وهكذا.

- القيم أو الأكسيولوجيا Axiology: وهو علم يبحث في المُثُل العليا، والقيم المطلقة، ومنها الحق والخير والجمال من حيث طبيعتها: (هل هي مجرد معانٍ في العقل، أم لها وجود مستقل عن هذا العقل الذي يدركها؟)، وكذلك البحث في أنواعها ومصادرها.

- نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا Epistemology: وهو العلم الذي يبحث في المسائل المتصلة بطبيعة العلم الإنساني من حيث: إمكان المعرفة، وسائل المعرفة، طبيعة المعرفة.

(*) تُطلَق كلمة الكون على العالم بما فيه، ومن فيه من مادة وطاقة أو جسم وروح، أو الظاهر منه والباطن (مغنية، ب.ت، 117).

ولعلنا نتوسع هنا فيما يخص مباحث نظرية المعرفة، ونستعين بتفصيل الغامدي للموضوعات التي تبحثها، وتتمثل في (الغامدي، 2014، ص22–23):

**أولًا:** البحث في إمكان المعرفة، ويقع الخلاف هنا بين مذهب اليقين ومذهب الشك.

**ثانيًا:** البحث في مسالك المعرفة ووسائلها، أو الطرق الموصلة إليها، ويمثلها:

أ. العقليون: ويرون أن العقل مستقل عن التجربة، وهو بنفسه مصدر مستقل للمعرفة.

ب. الحسيون: ويرون أن الحس هو المصدر الوحيد للمعرفة.

ت. النقديون: ويقيمون نظرية المعرفة على الحس والعقل معًا، مع تحديد وسائل كل منهما في الوصول إلى المعرفة.

**ثالثًا:** البحث في طبيعة المعرفة، ويشمل مسائل عديدة، منها حقيقة موضوع المعرفة، وهل هو مستقل عن قوانا، أم هل هو مطابق لأفكارنا، أم مزيج منهما بعد؟

## وظائف الفلسفة

يشير النشار إلى أن تعريفات الفلسفة مهما اختلفت فإن مهامها ووظائفها تبقى واحدة في كل العصور، ويكاد يحصرها في ثلاث وظائف رئيسة هي (النشار، 2008، ص16 – 18):

### 1. تفسير الواقع

فمن وظائف الفلسفة الأولى ومهامها، الانشغال بالنظر في الواقع المعاش، ووصفه، وتفسيره تفسيرًا شاملًا، وذلك بالرجوع إلى العلل البعيدة للأحداث الحاضرة، وربْطها بالأحداث الماضية؛ لتقديم فهْم شامل يساعد على استشراف المستقبل والتنبؤ به.

### 2. تبرير الواقع

حيث تضع الفلسفة دومًا تبريرًا لمستجدات وتطورات أي عصر من عصورها، من خلال فهْم أبعاد هذه المستجدات، سواء كانت إيجابية أم سلبية، بغية التعايش والتكيف معها ومع نتائجها.

### 3. تغيير الواقع

فمن خلال تفسير الواقع المعاش وتحليله، واكتشاف علاته ومشكلاته الفكرية أو الاجتماعية والسياسية، يتم تغيير المجتمع إلى الأفضل، وذلك بإيجاد الحلول لهذه المشكلات المجتمعية.

ولا يمكن أن تتخلى الفلسفة عن وظائفها الكلاسيكية؛ وهي كما حددها أكومو Okumu (Okumu, 2014):

- التأمل: تقوم الفلسفة على التفكير في كل شيء في الوجود، وفي الحقيقة الكلية الكامنة وراءه، والسعي إلى بناء نمط كلي تنظيمي، يعطي خبراتنا المعقدة معنى وانسجامًا؛ حتى تصل إلى بناء الأشياء والأفكار والأجزاء في نظام يكون معقولًا. وكل ذلك محاولة لإيجاد الاتساق في عالم من الأفكار والخبرات.
- التوجيه: تسعى الفلسفة إلى وضْع معايير لتقييم القيم، وتزكية بعض القيم والمُثُل العليا، أو تمحيص ما نعنيه بالحَسَن أو ما نعنيه بالرديء، والجميل أو القبيح، أو التساؤل عن مصدر هذه الصفات، أهو العقل أم الأشياء؟. وهذا الجهد من أجل اختيار ما يجب أن يكون، إضافة إلى ما هو كائن وقائم، وكذلك وضع شروط لما ينبغي أن يكون؛ فالفلاسفة يسعون إلى التركيز على اكتشاف المبادئ، ووصْف الإجراءات للسلوكيات المقبولة، قياسًا بعلماء النفس التجريبيين الذين يصنفون فقط السلوك إلى (جيد، سوي، شاذ)، ويوضحون بعض أشكال السلوك التي يتعين دراستها تجريبيًّا.
- التحليل: تركز الفلسفة على الكلمات والمعاني، ويتناول الفيلسوف التحليلي بعض المفاهيم؛ لتقييمها واختبار

مدى صحتها، ومحاولة الكشف عن معناها في سياقات مختلفة، فالتناقضات قد تنشأ عندما يتم استيراد المعاني المناسبة في سياقات معينة إلى الآخرين.

ونظرًا لأهمية وظائف الفلسفة فقد احتلت في وقتنا المعاصر مكانة رئيسة في النموذج الجديد للمدارس القائم على «التعليم من أجل التفكير»، تمثل أهمها كما أوردها جرونيو Gruioniu في (Gruioniu, 2012, p 381):

- رؤية العالم وفهْمه من وجهات نظر مختلفة.
- الاهتمام بالحقيقة وطريقة الوصول إليها.
- إبراز الدور الإيجابي لأخطاء المعرفة.
- الاهتمام المستمر بتدهور الأحكام المسبقة والأفكار المبتذلة واضمحلالها.
- الاهتمام بالدقة في التفكير (التفكير العمودي/الرأسي) يوازي أهمية إبداعيته (التفكير الجانبي).
- التركيز على تحديد القضايا الجديدة.
- البحث باستمرار عن حلول متعددة للمشكلة أو القضية نفسها.
- القدرة على إعادة توحيد مجال المعرفة الواسع، والسماح بوجود العلاقات المتبادلة والمتعددة التخصصات.